

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[191] "الآية الحادية عشر" تتحدث عن أصل كلّي وعام وتبيّن أن " حالة التعصب والاصرار على طول التاريخ البشري كان لها الدور المهم في استمرار الأقوام البشرية في سلوكهم في خطّ الكفر ومحاربة التوحيد وتقول : (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَدِرِفُوهُمْ أَإِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ نَا عَلَيَّ أُمَّةً وَإِنَّا نَزَّلْنَا عَلَيَّ آثَارَهُمْ مَّقْتَدُونَ) (1). وسياق الآية يوحي إلى أن " أهم مانع في مقابل الإيمان واتباع الأنبياء الإلهيين هو التعصب والتقليد الأعمى الناشئ من حالة الجهل التي يعيشها الإنسان. وهنا تتضح الأبعاد الخطيرة لهذه الرذيلة الأخلاقية. -- ونقرأ في "الآية الثانية عشر" والأخيرة أن " الجاهليين وبسبب حالة التعصب واللجاجة كانوا يتهمون أكبر الأنبياء الإلهيين بالجنون ويجعلون ذلك ذريعة لمخالفتهم للدعوات السماوية وتقول : (وَيَقُولُونَ أَأَنذَرْتَنَا لَتَنَارِكُوا°ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ) (2). والعجيب أن " هؤلاء كانوا غارقين في دوامة الجهل والتعصب الأعمى إلى درجة أنهم لم يكونوا يُدركون أن " كلامهم هذا متناقض، فإن " كونه (شاعراً) يدل " على الذوق السليم والقريحة والتأمل والتفكير والإطلاع الوافي على دقائق الكلام (والملاحظ أن " كلمة الشاعر من مادّة الشعور) وهذا ما يتقاطع مع كونه مجنوناً كما هو واضح. وأحياناً " يتهمون الأنبياء بالسكر والجنون كلاهما في حين أن " السكر يحتاج إلى الإطلاع الواسع على بعض العلوم والمعارف ويستبطن ذكاءاً خاصاً، وكل " هذا يتقاطع مع الجنون، وهذا يوضّح أن " كلام هؤلاء المتناقض لم يكن بوحى من العقل والتفكير الهادئ والمنسجم بل بدافع من الجهل والتعصب والعقدة. -- 1. سورة الزخرف، الآية 23. 2. سورة الصافات، الآية